

النفعية في المخطوطة الإسلامية وأثرها على فن التصوير الإسلامي

Utilitarianism in the Islamic manuscript and its impact on the art of Islamic photography

¹الشيما نبييل مصطفى، ²محمود عبد الحليم الغايش، ²أحمد علي حيدق

مدرس مساعد- كلية الفنون الجميلة – جامعة المنصورة، أستاذ بقسم التصوير – كلية الفنون الجميلة – جامعة المنيا

Email address: alshaimaanabil@yahoo.com

To cite this article:

Alshymaa Nabil Journal of Arts & Humanities.

Vol. 12, 2023, pp.13 -21. Doi: 8.24394/ JAH.2023 MJAS-2311-1188

Received: 18,11, 2023; **Accepted:** 20, 12, 2023; **published:** Dec 2023

الملخص:

إن الدور النفعي للمخطوطة الإسلامية أسهم في تطور فن التصوير الإسلامي، حيث انتفع بها المسلمون في أمور دينهم ودنياهم فتم الاستعانة بالمخطوطة في الموضوعات العلمية والأدبية وغيرها وتعاون كل من الخطاط والمزوق في نفع القارئ والمطلع عليها على أكمل وجه، استطاع الفنان أن يجمع بين العمق والتسطيح في مساحة فراغ صغيرة، وبرز من خلال ذلك قدرة الفنان في الانتفاع من التعددية الثقافية المنتشرة في بلاد المسلمين المختلفة والاستعارية من كافة الفنون بما يتوافق مع تعاليم الدين الإسلامي، وتم الاهتمام بالخط والانتفاع به جمالياً ولغوياً، فتحمل لنا المخطوطة الإرث والأثر الأجل والأكمل لفن التصوير الإسلامي قدمت لنا في مدارس فنية مختلفة. أما الطابع الاستهلاكي الذي أنتشر في العالم الذي أثر بدوره على فنون ما بعد الحداثة حيث تم إزالة الحدود بين الثقافة النخبوية والثقافة الشعبية وأجتمعت في الأعمال عرض كل ما هو عرضي وشائع وينتج عن استهلاكنا ومستهلكاتنا من أشياء اندمجت في الأعمال الفنية بل وأصبحت هي الفن والجمال والتعبير في حد ذاته.

الكلمات الدالة:

النفعية – المخطوطات الإسلامية – فن التصوير الإسلامي.

المقدمة:

وعقيدته سعياً للابتكار وخلق الجديد والمستمر، كما استطاع منذ نشأته أن يدمج جميع أنواع الفنون البصرية معاً في شكل نفعي ينتشر بين الناس ويعبر عن فلسفته في كل لمحاته. وعلى جانب فنون ما بعد الحداثة نرى من أكثر العوامل أثرت في سماتها هي الثقافة الاستهلاكية التي دمجت بين عناصر الحياة ومتطلباتها اليومية في الأعمال الفنية جعل لها دور أضاف التنوع والتفاعل والانفتاح على ما نتوقه وما لا نتوقه في ممارسات وتقنيات الفن في الحركة التشكيلية سواء أن كان لها دور نفعي أم لا.

مشكلة البحث:

- 1- هل للنفع دور في ازدهار فن المخطوطة الإسلامية؟
- 2- هل للنفع سمات ظهرت في فن المخطوطة الإسلامية؟

اسهمت النفعية في تطور المخطوطة لأداء دورها في المجتمع الإسلامي، كصفة ميزت المسلمين حيث ذكرت الأحاديث الإسلامية عن أن خير الناس أنفعهم للناس وغيرها من الآيات التي تحث على نفعية عمل المسلم من أقوال وأفعال وعلوم وغيرها، فاستطاع الفنان المسلم في العصور الإسلامية تحويل إبداعاته الفنية في صورته نفعية تخدم احتياجاتهم في الدنيا ولتتمكنه من التقدم والإبداع واستيعاب الثقافات المختلفة لينتفع بها في أفضل وجه، مما أنتج قيم جديدة نستطيع استيعابها من خلال المخطوطات الإسلامية. وأن يجمع في بوتقتها جميع أساليب الفنون السابقة والمختلفة في ثوب جديد يتوافق مع فلسفته

أهلكه، أنفقه، " والنزعة الاستهلاكية مصطلح يشير إلى نزعة القاطنين في ظل نظام رأسمالي إلى الانخراط بأسلوب حياة مادي أكثر من اللازم، ويتمحور حول استهلاك مفرط واضح أو انعكاسي مبذر" (www.ibelieveinsci.com).

ثانياً: أهم مدارس التصوير الإسلامي التي انتفعت بالمخطوطة الإسلامية:

"إن أقدم المخطوطات العربية التي وصلت إلينا تعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي وأشارت بعض المصادر العربية إلى وجود مخطوطات عربية مصورة تعود إلى القرن الثامن الميلادي منها مصورات للخليفة العباسي المأمون (ابراهيم مرزوق 2013)، ولقد احتوت المخطوطات على صور ملونة زاهية في أحجام صغيرة على حسب المساحة التي تركها الخطاط للمصور والتي كانت في الكتب الأدبية والعلمية حيث توضح شرح النصوص المكتوبة. وكان في البداية لكل إقليم مدرسته الفنية التي تميز أسلوب المخطوطات فيها، ولكن سرعان ما تداخلت الأساليب المختلفة والتي يعد من أبرزها المدارس التالية:

1- المدرسة العربية:

"ازدهرت المدرسة العربية أولى مدارس التصوير الإسلامي في تزويق المخطوطات الملونة منذ القرن (6/12م) وانتشرت مراكزها الفنية كفروع محلية لها في جميع أنحاء العالم الإسلامي، والغالب أنها انطلقت من العراق ومن أهم مراكزها مدينة بغداد والموصل وديار بكر واسط والكوفة والبصرة، ثم انتشرت في سورية ومصر وإيران كما امتدت إلى شمال أفريقية والأندلس. وسميت أيضاً بمدرسة بغداد والمدرسة العباسية (أبو الحمد محمود فرغلي 1991م) ولقد استمد فن تصوير المخطوطات عناصره من الفنون القديمة كالفن المانوي أو المسيحي أو الهلينيستي وصوغها معاً في أسلوب يتميز بالوحدة في صبغة إسلامية. نجد أن التصاوير في هذه المدرسة تميزت بالبساطة والطابع العربي في الوجوه الأدمية المصورة "وبالجسم الطويل في تصاوير كتاب البيطرة، وبالأكثاف الضيقة، وبقصر الرقبة أو إهمال رسمها تماماً، أما ملامح الأشخاص فسامية واضحة تتمثل في الذقن المرتفع، والأنف المقوس، وبغلبة الرسوم الجانبية كما تتألف الملابس في الغالب من جلباب قصير لا يصل إلى الركبة فوق سراويل، وليس لها طيات طبيعية، ولكن يغطيها بعض

3- هل أثرت الثقافة الاستهلاكية في سمات فنون ما بعد الحداثة؟

أهداف البحث:

- لقاء الضوء على مدارس التصوير الإسلامي في المخطوطات العربية.

- التعرف على النفعية ودورها في فن المخطوطة الإسلامية كفن دنيوي.

- التعرف على السمات النفعية لفن المخطوطات في التصوير الإسلامي.

- معرفة أهم سمات فنون ما بعد الحداثة الناتجة عن الثقافة الاستهلاكية.

- لقاء الضوء على الأعمال الفنية التي يتضح بها أثر الثقافة الاستهلاكية.

فروض البحث:

1- أن للنفعية دور في ازدهار فن المخطوطات الإسلامية كفن دنيوي نفعي ارتبط بالحياة الواقعية.

2- ساهمت النفعية في إبراز دور التعددية الثقافية والاستعارية في فن المخطوطة الإسلامية.

3- أن للثقافة الاستهلاكية أثر في فنون ما بعد الحداثة.

4- أصبح كل الأشياء من حواليا من مستهلكات وعناصر في الطبيعة صفة الذاتية الجمالية التي تجعلها عملاً فنياً في حد ذاته أو أن يكون لها دور في العملية الفنية.

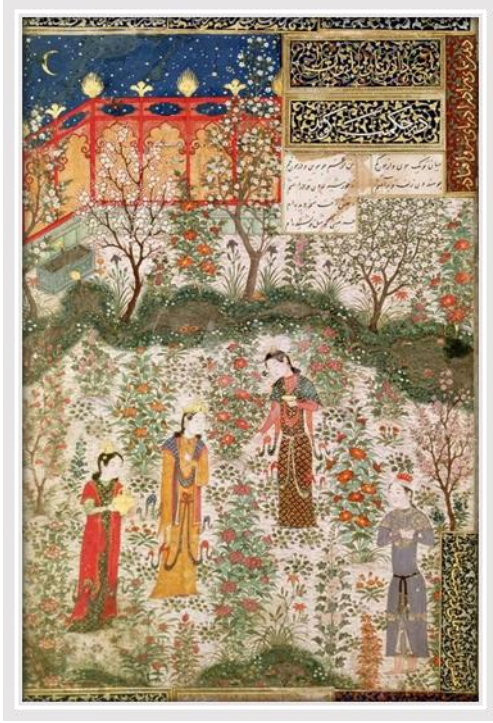
حدود البحث: يتحدد البحث بدراسة النفعية ودورها في فن المخطوطات الإسلامية في البلاد العربية من القرن ال 12 الميلادي إلى القرن ال 16 والثقافة الاستهلاكية وأثرها في فنون ما بعد الحداثة في القرن ال 20 و21.

منهجية البحث: تتبع الباحثة في هذه الدراسة المنهج التاريخي والتحليلي والوصفي.

أولاً: معنى النفعية والاستهلاكية:

أتي معنى النفعية في معجم المعاني الجامع ك(اسم) مصدر صناعي من نفع: انتفاع وتكسب، ومذهب الذين يطلبون المنفعة المجردة أو من يرون المنفعة هدف كل عمل، والنفع: وهو ما يتواصل به الإنسان إلى مطلوبة، عكسه ضرر، وجاء ك(فعل) نفع ينفع، نفعاً، فهو نافع، ونفاع، والمفعول منفع، وانتفع أي حصل منه منفعة. وجاء في المعجم المعاصر، استهلك يستهلك، استهلاكاً، فهو مُستهلك، والمفعول مُستهلك: - استهلك ماله

العام السائد هو الطابع الزخرفي فالخلفية تحتوي على العمائر والزخارف الهندسية والنباتية، وبرز التسطیح والبعد عن العمق ونرى الاهتمام الواضح بالمناظر الطبيعية لإيران وما بها من جبال والحدائق والزهور والحيوانات، أما الرسوم الأدمية راعي الفنان النسب والتناسب في رسم الجسم إلى حد كبير، وأخذ خط الأرض بالاتساع ليشمل أكبر عدد من العناصر وقلت مساحة السماء.

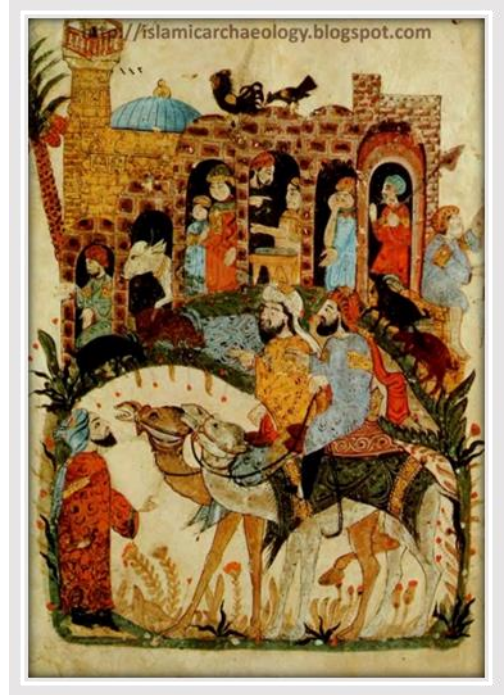


(شكل 2) هامي أمير إيران يستقبل في حديقة القصر همايون ابنة قيصر الصين، مدرسة هراه سنة ٨٣٤ هـ / ١٤٣٠ م، صورة من مخطوط ضائع ومحفوظة في متحف الفنون الزخرفية بباريس.

3- المدرسة الصفوية:

تعد المدرسة الصفوية امتداد للمدرسة التيمورية في عصر الأسرة الصفوية "وقد اصطلح علماء الآثار والفنون على تقسيم العصر الصفوي إلى قسمين: الأول هو المدرسة الصفوية الأولى تميزت بمراعاة النسب والدقة في رسم وتوزيع الرسوم الأدمية والحيوانية والحيوية الحركة، وادخال غطاء الرأس المكون من عمامة مرتفعة، أتقان مزج الألوان والخيال، وجاءت المدرسة الثانية تقليدا للسلف، وأثرت البعثات والسفارات الأوربية والهندية في الأسلوب الفني، وقل اقتناء المخطوطات، واتجهوا إلى رسم الصور المستقلة على الجدران وفي القرن الحادي عشرة للهجرة كان يرسم شخص أو اثنين وامتازت الرسوم الأدمية بالأوضاع المتكلفة والأجسام الهيفاء والأنوف الطويلة والأنوثة فيعب التمييز بين الرجال والنساء، وفي بداية القرن

خطوط خرفيه مقوسة، ويانف حول العضد شريط تظهر آثاره في بعض الصور، أما الخيل فرسمها صغيرة قليلة التفاصيل، وقريبة الشبه من صور الحمير، وذات أوضاع جانبية، (هبه علي عبد الفتاح 2014م) ومن أمثلة هذه المدرسة مخطوطات مقامات الحريري وكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني وكتاب الترياق لجالينوس. (شكل 1) ، وابتعدت عن التمثيل الواقعي فادخل التحوير في النسب التشريحية للأشخاص، كما استغني عن العمق فظهرت الصورة ببعدين هما الطول والعرض، وعدم الاهتمام بالظل والنور وبرز التسطیح فببت الألوان مضيئة زاهية واستغني عن الظل والنور.



(شكل 1) ألوان وحبر على ورق، يحي الواسطي- مقامات الحريري- بغداد 1237م- المكتبة الوطنية - باريس

2- المدرسة التيمورية:

"جمع تيمورلنك في عاصمته سمرقند الفنانين من مختلف الأقاليم الإسلامية في مختلف المجالات الفنية. وازدهر فن تصوير المخطوطات في عصره. وتعد من أهم مراكز التصوير في المدرسة التيمورية وكان فيها مجمع يضم الخطاطين، والمزخرفين والمصورين والمجلدين. وأهم ما يميز أسلوب هذه المدرسة رسم المناظر الطبيعية بأزهارها المتفتحة وحشائشها. (شكل 2) وصورت المرتفعات والجبال فيها على شكل الإسفنج واستخدمت الألوان الساطعة. وتغلب الحيوية على رسوم الأشخاص على عكس الجمود الذي كان سائداً في المدرسة المغولية. كما تبدو التأثيرات الصينية مستمرة هنا في الأجواء الطبيعية ووجوه الأشخاص (ابراهيم مرزوق 2013). الطابع

محمد في مخطوط من المنظومات و ٩٤٩ هـ / ١٥٣٩ و ١٥٤٣ م، ومحفوظ في المتحف البريطاني.

ثالثاً: أهم سمات النفعية لفن المخطوطة الإسلامية في التصوير الإسلامي:

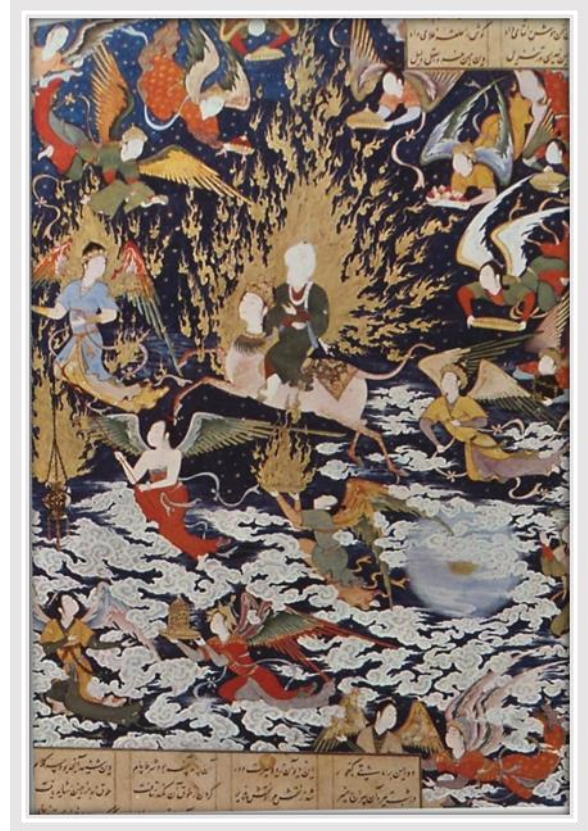
أن النفعية في الفن الإسلامي أتت من تعاليمه التي تحثه على تلك الصفة والتي ظهرت بوضوح في شتى أنواع الفنون لديه كما سبقنا الذكر فيها، ولا تكتفي بذلك الجانب النفعي في الدنيا، بل يمتد إلى الآخرة، وذلك أنتج صفة الإحسان في إقبال الأعمال الفنية بصفات جمالية تسر النفس والعين والروح أيضاً، مما جعلت الإنسان يسعى إلى العطاء، وترك الماديات قدر الامكان.

وأوضح الفن الإسلامي صفة "الحياتية" (ارتباط الفن بالحياة) حيث انخرط العمل الفني في تفصيلات الحياة اليومية ليجعله أكثر إنسانية وارتباطاً بفلسفة الفن الإسلامي، بحيث لا تقل أهمية العمل الفني سواء كان في أعمال تطبيقية ذا وظيفة، جمالية ونفعية أو كان لتزيين الجدران أو في المخطوطات أو المنمنمات، ذلك لا يعني أن العمل الفني يجب أن يؤدي وظيفة مادية. لكنه وفق الرؤية الإسلامية يجب أن يرتبط بحياة البشر ويؤثر فيها، حتى وأن كان ذلك التأثير من خلال الأساطير والقصص ذات المضمون الفلسفي والتي تحمل بالعديد من المفاهيم الرمزية والمباشرة (سهام عبد العزيز 2016) ليجمع فيها بين الحس الجمالي والنفعي في آن واحد.

وبرز دور النفعية في المخطوطات الإسلامية من خلال الاستعانة بها كقصص وكتب التاريخ والكتب العلمية ودواوين الشعر وعرضها للموضوعات الدينية، المتعلقة بالأنبياء وبعض من أحداث السيرة النبوية الشريفة، كما " تناولت شتى المعارف العلمية والأدبية من خلال فن التصوير في صفحات الكتب بقصد مساعدة القارئ على تصور ما يقرأ وتحويل ما أدركه عقله من القراءة إلى صورة مرئية (على القاضي 2002م)، وتطورت مساحة التصوير من صفحة امام النص إلى صفحتين متجاورتين، كما يمكن أن يجمع مشهدين مختلفين في صورة واحدة من مشاهد القصة المرسومة. وارتبط "عالم الأدب بفن الرسم. وقد تضمنت كتب الفلك رسوماً زخرفية مجردة. أما بالنسبة للكتب الخاصة بالرحالة، التي تصف البلدان والأقطار فتتضمن عادة رسوماً توضيحية للمواقع الجغرافية وخرائط ملونة(شكل4)، ومن هذه النوعية كتاب (مروج الذهب

التاسع عشر الميلادي ظهر الأسلوب الغربي جلياً في أسلوبها الفني(سعاد ماهر محمد 2002م).

كانت المخطوطات (الكتب) في الفن الإسلامي بمثابة أعمال فنية مرئية، "الملينة بالألوان والتفاصيل كما نجح الفنان في التعبير عن الإحساس بالحركة والإثارة مع الملائكة المرسومة والسحب (Nathaniel Harris 1974) كما في(شكل3) رسم السلطان محمد " للنبي - عليه السلام - راكباً فرسه(البراق) ذات الوجه الأدمي، وفي يمين الصورة بالجزء السفلي نرى الأرض التي تركها النبي وحوّلها غلاف أبيض كروي، وأمام النبي سيدنا جبريل يقود الركب في السموات، وبين الرسول وسيدنا جبريل ملكٌ مُجَنِّح يحمل مِخْرَعة معلقة في عصاة ويخرج منها لهب ذهبي، وعلى يسار النبي صلى الله عليه وسلم ملك آخر يحمل صحنًا فيه بخور يحترق، وفي الصورة ملائكة آخرون يحمل بعضهم أطباقاً من الجواهر والفواكه وفي يد أحدهم تاج ثمين. وصفوة القول أن في الصورة خيالاً واسعاً وحركة وحياة تجعلها من أبداع آيات التصوير الإيراني. كما أننا نلاحظ في رسم النبي عليه السلام ما أتبعه الفنانون الإيرانيون في معظم الأحيان من إخفاء سيخنة الرسل (زكي محمد حسن 2018م).



(شكل 3) صورة المعراج، من المدرسة الصفوية الأولى في تبريز، ولعلها من تصوير سلطان نظامي، كُتِبَ للشاه طهماسب بين عامي ٩٤٦ «الخمس»

صورت المخطوطات الحياة الدنيا وما فيها من أزياء وأماكن وموضوعات تخص الحضارة الإسلامية بصفة خاصة والحياة الواقعية. "فحفظ فن المنمنمات الإسلامية لنا صور الحياة والبيئة والعادات والطقوس والتقاليد وأنماط السلوك والأعياد والأحداث التاريخية وطبيعة المناخ والعمارة والزي والفنون، والواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي للبيئة الشرقية – الإسلامية. ويمثل منظومة الأفكار والعقائد. ومن خلاله نستطيع تحديد المسلمات الجمالية والأخلاقية نظراً للارتباط الديني والديني (زينات بيطار 2000). كما لم تستخدم تلك التصاوير في مجال العبادة أو الانتشار بين المسلمين لتحديث عملية الاتعاض، فهو عمل يخدم أمور الدنيا لا الدين وإنما كانت تذهب إلى الملوك والأمراء والاحتفاظ بها، كما أظهرت حياة السلاطين والأمراء والترف والملابس الفاخرة ومجالس الطرب (شكل 5) وعبرت عن روح المزاح والتهكم والحياة اليومية والحدائق والعمائر، وأكثر التكوينات تنزع إلى المشاهد السكينة، شخوصها من الفتيان والفتيات ذوي القد الممشوق والرشاقة المفرطة إما مستقلين أو مشتركين في حفل، أو عازفين، غير أن مشاهد الحركة والصيد والمعارك، لم تخلُ مع ذلك من العذوبة والفاخرة التي كانت الشخصية الرئيسية فيها في أكثر الأحوال – صورة للعاهل الحاكم (ثروت عكاشة 1983م) واشتملت مخطوطة مقامات الحريري اشتملت على مناظر من الحياة، صورت بشكل واقعي، مليئة بالحيوية والتعبير، وتجري الأحداث في المساجد أو في الصحراء أو في الحقول، وقد أكد الفنان على القيم الزمنية، والطابع السردية.



(شكل 5) صورة من القرن الخامس عشر لمحمد الثاني (1432-1481)،

تُظهر التأثير الإيطالي

2-الانتفاع من التعددية الثقافية والاستعارية ودورها في المخطوطة الإسلامية:

للمسعودي، القرن العاشر الميلادي) وكتاب ابن بطوطة القرن الرابع عشر الميلادي) وقد تميزت رسوماتها بطابعها الشعبي الذي حول الخرائط والرسوم التوضيحية الجغرافية إلى أعمال فنية معبرة عن طبيعة البلدان التي تصورها. وكتاب الإدريسي منسوخ في القرن الرابع عشر الميلادي يتضمن رسوماً تميزت بأسلوبها الزخرفي البديع وبطابعها الشعبي، وصلت بمستوى إبداعها وأبعادها الخيالية إلى روعة أعمال الفن. وقد رسمت الجبال والبحار بزخارف تشبه قشور الأسماك. وحدد الفنان أماكن الأقطار المختلفة باستخدام دوائر صغيرة، أحاطها بوحدات زخرفية مجردة، فبدت الرسوم مثل نقوش زخرفية، ألونها جذابة، ونقوشها تشبه تكوينات السحب أو أمواج البحر. واستخدم الفنان في رسوماتها الخطوط والألوان بحرية لتشير إلى أماكن الجزر والبحار، وبأسلوب تبسيطي شعبي واضح وجذاب (محسن محمد عطية 2005م).



(شكل 4) خريطة العالم الإدريسي باللغة العربية من نسخة علي بن حسن

الحوفي الفاسمي 1456

1-النفعية ودورها في إبراز المخطوطة كفن دنيوي:

جاءت المخطوطة في أحد أهم أدورها في تسجيل وتدوين كل شيء كسجل مصور نزي من خلاله الحضارة الإسلامية، ولذلك يعد "التصوير الإسلامي من الفروع المهمة في الفنون الإسلامية، وذلك أن الكثير من المنظر والمشاهد التصويرية التي وردت في صور المخطوطات الإسلامية إنما هي تسجيل للبيئة العربية والإسلامية وما يسودها من حياة يومية وأحداث تاريخية، حيث أزهق فن التصوير الإسلامي في ميادين متنوعة فلقد كان من أهمها تجميل المخطوطات بالصورة الصغيرة ذات الألوان الزاهية الجميلة التي شددت اهتمام الدارسين الأوروبيين خلال القرن العشرين (هبه علي عبد الفتاح 2014م) فهي الإرث وأحد جوانب الآثار الفنية الإسلامية المهمة التي نفتخر بها .



(شكل6) ألوان مائية وحرير على ورق، كلبلة ودمنة،
النصف الثاني من القرن ال 16م

3- فن تعاوني جمعي:

يرجع اهتمام السلاطين والأمراء بالفنانين والمزوقين إلى بروز التصوير في المخطوطات وإعطاء مساحه لهم، حيث تناقلت الأساليب الفنية من فنان إلى آخر وبين الأقاليم الإسلامية وبعضها (شكل7) ويتضح فيها تناقل الأساليب الإيرانية إلى الأقاليم التركية في رسم الشخص وأسلوب المخطوطة، وأشهر فنانين عدة في كل مدرسة حيث ذهب الأغلب في تقليده واتباع أثره، كما تعاون الفنانين في الرسمة الواحدة كما كان هناك "مجمع الفنون الملكي، والذي لم يكن مقصوراً على فنون الكتاب، بل امتد أيضاً إلى صناعة الخزف ونسج الحرير والسجاد (زكي محمد حسن 2018م). فتعاون الفنانين والخطاطين جنباً إلى جنب وفي شتي الفروع الفنية.



(شكل7) صورة تركية من نهاية القرن السادس عشر تمثل السلطان مراد خان الثالث في غرفة قصره. وكان يحب الجلوس للقراءة

امتاز التصوير الإسلامي الذي ازدهر في زمن اتساع الحضارة الإسلامية بأنه جمع الأساليب الفنية المختلفة والمخزون والتراث الفني السابق لكل بلد قام بفتحها وكان على يد فنانين مسلمين وغير مسلمين، حيث "نشأ من امتزاج شعوب مختلفة ذات موروثات حضارية قديمة انسجمت مع تعاليم وروح الإسلام فكانت بذلك أسس حضارة إسلامية جديد وتطورت المخطوطات (على القاضي 2002م)، ونستطيع من خلالها إدراك شمولية التصوير الإسلامي في استيعاب الغير وصنع الجديد والشامل حيث، حمل الفنون القديمة وطورها وصهرها في وحدة وتميز وتفرد في الأسلوب. واكتساب الأسلوب القديم هوية جديدة تتفق مع تعاليم الإسلام في تناغم كتأثير الشرق الأقصى (الفن الصيني) في العصر التيموري والصفوي في رسم حيواناتهم الخرافية وملامح الوجه، والهالة القدسية في الفن المسيحي حيث كانت ترسم حول الرأس، ولكنها في الفن الإسلامي لم تعبر عن القدسية ورسمت حول الأزهار ورؤوس الطيور بجانب الأشخاص. "وذلك ما جعله لا يتقيد في الرسم بالأجناس البشرية والقوميات المعينة، وإنما ما يهمه أن يجسد صورة الجمال المثالي الذي عثر عليه في الأدب (محسن محمد عطية 1991م). فيذكر " دكتور مصطفى يحيى بالرغم من غياب دولتي الرومان والفرس سياسياً بهزيمتهم على يد الحضارة الإسلامية فقد تأثرت الحضارة الإسلامية من بدايتها بشكل واضح بالفن البيزنطي والساساني والقبطي فأخذت ما يناسبها وتركت ما يخالف المعتقد والعرف الإسلامي- ونتج فناً إسلامياً تطبيقياً يلبي حاجة الإنسان المسلم الدنيوية والدينية في أن واحد مرتبط بثقافة إسلامية محددة بخصائص وقيود. احتال عليها الفنان المسلم فأنجح فناً إسلامياً تطبيقياً له الرؤيا المتحررة المبتكرة فصور المحال والخرافي في الأدب والرسم كما في قصص ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة (شكل6) (مصطفى يحيى 2001م).

(شكل 8) الملك دوفان بدر الدين هلاي. نسخه مير علي الكاتب السلطاني
(الكاتب الملكي) بخط النسخ تعليق الأنيق بتاريخ 938 / 1531-2، على
الأرجح في بخارى

5- الانتفاع بالفراغ والجمع بين العمق والتسطيح:

يصبح الفنان أمام تلك المساحة الصغيرة المتروكة من قبل
الخطاط للمزوق في المخطوطة في مهمة صعبة لاستغلالها
والانتفاع بها على الشكل الاكمل والاجمل، وللوصول لذلك"
تجنبت الرسومات قواعد المنظور والمنظور البعدي الثالث،
وحتى الضوء والظل. وسعى الفنانون إلى تحقيق عمق الفراغ
من خلال التسطيح، واستخدم الفنان تركيبات حيث لاحظ
(برونوفسكي) "وجود بعض اللوحات المخطوطة التي تكشف
عن استخدام الفضاء ثنائي الأبعاد ومستوياته التمثيلية"، واتفق
(علام) على أن "الفنان الفارسي حريص جدًا على تحقيق العمق
عن طريق تحريك خط الأفق للخلف لتوسيع الفضاء الأمامي"
كما تحدثت عن مدرسة التيموري التي حرص فيها الرسامون
بشدة على تحقيق العمق وتمثيل التفاصيل وسعوا إلى توزيع
الشخصيات بشكل فعال في الفضاء، كما أشارت إلى أكثر ما
يميزها في رسم مدرسة المغول. الذي يقسم المخطوطة إلى جزء
أمامي وخلفية. علاوة على ذلك، سعى الفنان المسلم إلى إبراز
عمق الفراغ برسم التلال فيه سعى الفنان المسلم للتأكيد على
عمق الفراغ برسم تلال في الخلفية والشخصيات. كان اللون
الرئيسي الذي استخدمه هو الأزرق الداكن وتدرجاته. كما رسم
عناصر معمارية مع كائنات مختلفة. وقد أدى ذلك إلى تنظيم معقد
لوجهة نظر مسطحة (Fakhriya Al-Yahyai and others)
(2019).

كما نجده قام بتلوين الخلفية بثلاثة ألوان في (شكل9)، حيث أخذ
الأخضر النضيب الأكبر منها، وساعد هذا اللون في ظهور
رسوم الحيوانات والأشخاص، وأعطى استقرارًا للوحة، وزانتها
المنمنمات من الحيوانات والطيور والنباتات المحورة التي
اشتهرت بها المخطوطات الإسلامية في الخلفية، فتظهر جميع
الحيوانات من الأليفة إلى المتوحشة وكذلك الطيور في تداخلات
متوافقة، ليستطيع أن يملئ الفراغ بدقة وبأسلوب محكم، ولقد
استخدم الألوان ليس للتعبير عن الواقع بل لإثارة البهجة والتمتع
البصري من تجاوزها وتحقيق التوازن الذي يثير في النفس، كما
يرع في توزيع الأشكال وتحقق الانسجام والإيقاع والتنوع.

رابعاً: فنون ما بعد الحداثة:

4- الخط ودوره النفعي والتعاوني في المخطوطة الإسلامية:

تبرز العلاقة بين اللغة والشكل والانتفاع بها في الجمع بين
النصوص والشكل كأحد الجوانب في المخطوطة، لتوضيح
وشرح النصوص والأفكار المكتوبة أيا كان محتواه سواء ادبي
أو علمي أو شعر، فكان الرسام يختار الأشكال بعد أن يُكتب
النص الذي يهدف إلى توضيحه لذلك، لتصبح اللوحات مثل
المرايا التي تعكس الرسالة المكتوبة والمنطوقة علاوة على ذلك،
فإن عناصر وقيم المخطوطات مشتقة من الكلمات الحرفية،
بالإضافة إلى براعة الرسام في استخدام الخطوط في الواقع كما
في (شكل8)، كما كان "الرسامون يتصرفون مثل الخطاطين من
حيث استخدام الخطوط، ومراعاة النسب والدقة والتحكم اليدوي
وللخط له قيمة روحية بالإضافة إلى القيمة الجمالية. وفي دراسة
أخرى، لخص الدكتور حسن الباشا دور الرسوم المخطوطة
الإسلامية في النقاط التالية: توضيح النص أو مقارنته من خلال
تأمل العناصر وتمثيل التفاصيل. التعبير بالأرقام عما لا يمكن
التعبير عنه بالكلمات. الاعتماد على الصورة لإثبات وتأكيد ما
جاء في النص. (Fakhriya Al-Yahyai and others)
(2019) ليجمع فيها بين الحس الجمالي والنفعي في آن واحد،
وعلى أثر ذلك أيضا أنتشر الاهتمام بالخط، حيث " جمع بين
القيم الجمالية والنفعية لأن الفن التشكيلي هو قوام يجمع بين
الفنون الجميلة والفنون التطبيقية التي تعنى الجميل النافع هذا وقد
دفعت العقيدة بالمسلمين إلى تزيين العرائر والمصنوعات بالآيات
القرآنية والأحاديث النبوية مما كان له أبعاد الأثر وأقواه في نشأة
الخط العربي وتطويره حتى وصل إلى درجة من الجمال الفني
يعز أن نجدها في أي فرع من فروع الفن الإسلامي، كما اعتبر
الخط العربي من أبرز وأهم إنجازات الثقافة العربية والإسلامية
حتى استحق عن جدارة بأنه فن الإسلام الأول (حسن عثمان
(2012م).



- 7- أن للثقافة الاستهلاكية لفنون ما بعد الحداثة أسهمت في ظهور سمات متنوعة لفنون ما بعد الحداثة.
- 8- أسهمت الاستهلاكية في الدمج بين الحياة ومتطلباتها الفنية في استعمال المستهلكات اليومية كتقنية بديلة عن الألوان واللوحة التقليدية.
- 9- أن الأشياء المحيطة بنا والجهاز الصنع تحمل قيم جمالية ذاتية.
- 10- أهمية الفن في مواجهة الثقافة الاستهلاكية والاستفادة منها في شكل جمالي وابداعي ونفعي.
- 11- أن تضاد قيمة النفعية في فن التصوير الإسلامي مقابل قيمة الإسلامية في فنون ما بعد الحداثة.

التوصيات:

- 1- توصي الباحثة بأهمية الاستعانة مبدأ الانتفاع عند وضع فكرة العمل الفني.
- 2- أهمية زرع فكرة الانتفاع لدي طلاب الفنون الجميلة حتى تخرج مشاريع تساهم في الحياة والمجتمع.
- 3- الاستفادة من قدرة المخطوطة الإسلامية في الجمع بين ثقافات متنوعة وظهورها بشكل أصيل وفريد يتفق مع تعاليم دينها الإسلامي وعدم غياب الإصالة لدى الفنان التشكيلي في ظل الانفتاح والعولمة المنتشرة وسهولة الوصول لإعمال فنية عالمية.
- 4- أهمية الخط كعنصر نفعي وفكري وتشكيلي يستطيع الفنان التشكيلي الاستعانة به في شتى الطرق.
- 5- القدرة على الجمع بين الفكر الجديد في سمات فنون ما بعد الحداثة وما يحمله من غرابة وما يحمله تراثنا الإسلامية من قواعد راسخة في الفن والفكر تربي العملية الإبداعية دون إفراط ولا تفريط.
- 6- الاستبصار والانفتاح لما حولنا من موجودات قد توجد في أبسط الأشياء التي نستهلكها في حياتنا اليومية كوحدة جمالية.
- 7- ضرورة الحد من الثقافة الاستهلاكية حتى لا تؤثر على الفن وتحوله إلى العبيثية والاسفاف والقبح.

المراجع:

- 1- ابراهيم مرزوق 2013: موسوعة الفن الإسلامي، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 2- أبو الحمد محمود فرغلي 1991: التصوير الإسلامي نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه- الدار المصرية اللبنانية.

تستند ما بعد الحداثة في الثقافة الغربية طبقاً لجميل حمداوي إلى مجموعة من المكونات والمرتكزات الفكرية والذهنية والفنية والجمالية والأدبية والنقدية، حيث "تحدد فلسفة ما بعد الحداثة بنمط في الفكر يبدي ارتياباً وتشككاً بالأفكار والمفاهيم والتصورات التقليدية مثل: الحقيقة والعقل، والهوية، والتقدم، والانغلاق.. إلخ، وهذا ما دفع الفنان إلى التعبير عن هذه المفاهيم. وتتنظر فلسفة أفكار ما بعد الحداثة إلى العالم بوصفه طارئاً عرضياً، بعيداً عن الثبات والقطعية والحتمية، فهو متباين وبلا أساس (شذا إبراهيم الأصقعه 2021)، "وتبدو العلاقة بين ما بعد الحداثة ك (حركة فلسفية) وما بعد الحداثة ك (حركة فنية) ملتبسة بعض الشيء؛ إذ لا توجد نصوص صريحة لفلسفة ما بعد الحداثة تُدافع عن التغيرات التي لحقت بمفهوم الفن أو تُهاجمها، كما أن (النظرية الجمالية) بمعناها التقليدي قد فقدت بريقها وحلّ محلها مجموعة من التأملات والتحليلات لبعض الأعمال الفنية - خاصة الأدبية - مما أدّى إلى طغيان الجانب التطبيقي على الجانب النظري، وربما أدّى هذا إلى صعوبة استخلاص نظرية جمالية عامة لأي من مُنظّريها. لكن مع ذلك يُمكن القول إن هناك تلاقياً واضحاً بين المقولات التي يُنادي بها فلاسفة ما بعد الحداثة والتغيّرات التي طرأت على مجال الفنون، ثمة توافؤ وتصالح بين الاثنين، بل إن المقولات التي أفرزتها الفنون المختلفة وأصبحت تتحرّك من خلالها وفي ضوئها (بدر الدين مصطفى 2018).

النتائج:

- 1- أن للنفعية دور في ازدهار فن المخطوطة الإسلامية ومدارسها.
- 2- أثرت النفعية في المخطوطة الإسلامية على سمات فن التصوير الإسلامي.
- 3- أبرز أدوار الانتفاع بالمخطوطة جاء في الأمور الدنياوية.
- 4- برز دور الخط النفعي والجمالي في فن التصوير الإسلامي.
- 5- أهمية الانتفاع بالفنون السابقة والحالية ودمجها مع الفنون الإسلامية بما يتوافق مع تعاليم الدين الإسلامي.
- 6- أسهم دور الانتفاع بالمساحات الصغيرة في المخطوطة الإسلامية إلى الاتجاه إلى الجمع بين العمق والتسطيح كأسلوب فني مميز لفن التصوير الإسلامي.

Abstract:

The utilitarian role of the Islamic manuscript contributed to the development of the art of Islamic photography, as Muslims benefited from it in matters of their religion and world. The manuscript was used in scientific, literary, and other topics, and both the calligrapher and the illustrator cooperated in benefiting the reader and those familiar with it to the fullest extent. The artist was able to combine depth and flatness in A small empty space, and through this, the artist's ability to benefit from the cultural pluralism spread in various Muslim countries and metaphors from all the arts in accordance with the teachings of the Islamic religion was demonstrated, and attention was paid to calligraphy and its use aesthetically and linguistically, so the manuscript carries for us the most beautiful and complete legacy and impact of the art of Islamic photography. We have different art schools. As for the consumerist nature that spread in the world, which in turn influenced post-modern arts, where the boundaries between elite culture and popular culture were removed, and everything that was accidental and common and resulted from our consumption and our consumption of things that were integrated into artistic works and even became art, beauty, and expression in the works came together in the works.

- 3- هبه علي عبد الفتاح 2014: التصوير الإسلامي عناصره وفلسفته وخصائصه التكوينية- عالم الكتب.
- 4- سعاد ماهر محمد 2002: الفنون الإسلامية، هلا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- 5- زكي محمد حسن 2018: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مؤسسة هنداوي سي أي سي.
- 6- سهام عبد العزيز حامد 2016: أساليب التعبير عن المفاهيم الأيديولوجية بالفنون الإسلامية كمصدر للاستلهام في فنون التصوير الحديثة والمعاصرة، كلية التربية الفنية جامعة حلوان.
- 7- على القاضي 2002: مفهوم الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، دار الهداية، الطبعة الأولى.
- 8- محسن محمد عطية 2005: التقاء الفنون، عالم الكتب.
- 9- زينات بيطار 2000: فن المنمنمات الإسلامية وتجربة محمد راسم الجزائري، التعبير بالألوان آفاق من الفن التشكيلي، الكتاب التاسع والثلاثون، 15 يناير.
- 10- ثروت عكاشة 1983: التصوير الفارسي والتركي، سلسلة تاريخ الفن 6، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- 11- محسن محمد عطية 1991: القيم الجمالية في الفنون التشكيلية، دار الفكر للطباعة والنشر.
- 12- مصطفى يحيى 2001: أثر الثقافة في العمل الفني (التشكيلي خاصة)، آفاق الفن التشكيلي الهيئة العامة لقصور الثقافة، ملتقى تشكيلي، العدد 13، يوليو 2001، شركة الأمل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- 13- حسن عثمان 2012: مقال بعنوان، أحمد مصطفى فنان مصري يدعو لتبني الفن الإسلامي الحديث، مجلة الخيال العد 29، اغسطس.
- 14- شذا إبراهيم الأصق 2021، الفن الإسلامي وفن ما بعد الحداثة، المجلة العربية، العدد (539) 2021، محرم.
- 15- بدر الدين مصطفى 2018: دروب ما بعد الحداثة، مؤسسة هنداوي سي أي سي.

16-Deleuze: ,1994, Difference and Repetition. Trans Paul Patton (New York: Columbia University).

17-R. Forman,1976, Ontological Hysteric: ManifestoI, in K, Davy(ed.), Richard Foreman: Plays and Manifestos (New York).